كلمات مؤثرات
وعبارات مثمرات

زياد بن محمد بن علي المنيفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى شقيقي المفضال النبيل، طالب بن محمد أبو أصيل

فتىً سهلُ الخليفة أحوذيٌّ[١] وليس به، صُدودٌ أو غرورُ
تزيّنهُ صفاتٌ ساميات يدور مع الفضائلِ إذ تدورُ

❊ ❊ ❊

(١) أحوذيّ: حاذق، مشمر للأمور.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد للَّه الذي يؤتي الحكمة من يشاء من خلقه، ويهب لمن يريد بلاغةً في قوله وفصاحةً في نطقه، فيشنّف بعذب ألفاظه الآذان، ويأسر بسحر بيانه كل وجدان.

والصلاة والسلام على أبلغ من خطب ووعظ، وأفصح من نطق وتلفظ، محمد بن عبداللَّه، وعلى آله وصحبة ومن والاه.

أما بعد: فإن النفس البشرية لا تنفك متأثرة بما يتوافد عليها من الأفواه، ويتوارد إليها من بنات الشفاه، إما تأثيرًا سلبيًّا، وإما تأثيرًا إيجابيًّا.

فكم من كلمة جبرت خاطرًا، وتضوعت مسكًا عاطرًا، وكم من لفظة أحيت في القلب أملًا، وطردت يأسًا ومللًا، وكم من عبارة ولجت الفؤاد، فهيجّت فيه الجد والاجتهاد.

وفي المقابل فهناك حروف تلدغ وتلسع، ومقولات تضر ولا تنفع، وجُمَل تهدم ولا تبني، وأحرف تُبعد عن الغاية ولا تدُني.

وها أنذا قد جمعت طائفة من العبارات التي تلقاها المتلقي فأثرت تأثيرًا إيجابيًا في ذاته، وغيرت إلى الأفضل مجرى حياته، ودلته على الطريق المهْيَع، فسار فيه صوب المعالي وأسرع.

راجيًا أن يكون للقارئ المبارك نصيب من ذلك، فيسلك في بلوغ المعالي كل المسالك.

ولا يفوتني هنا أن أنوّه بالأخ الفاضل الوفي، أبي عاصم عبدالرزاق الشرفي، شاكرًا له مواقفه المشرفه، وخدماته المترادفه.

والشكر موصول إلى الأخ الألمعي، نضال الربيعي، الذي تتبع الأخطاء المطبعية، فأشار إليها، ونبهنا عليها، فتم الإصلاح والتعديل، وظهر الكتاب في مظهر جميل

واللَّه رب العباد، نسأله التوفيق والسداد!

وكتبه / زياد بن محمد المنيفي

نفحَةٌ شعريةٌ

ومَـا اسـتـولـى عَـلـى الألـبـابِ إلَّا بـتـبـيـنٍ وأسـلـوبٍ أنـيـقِ
كـأنَّ الـلـفـظَ إذْ يُـلـقـيـهِ دُرٌّ ومـرجـانٌ مـن الـبـحـرِ الـعـمـيـقِ

❊ ❊ ❊

نَبيُّ الرحَّمةِ ﷺ

مما لاشك فيه ولا ارتياب أن رسول اللَّه ﷺ، أفضل ناطق بالضاد، وأفصح لسان بين العباد من حاضر وباد، قد أُوتي جوامع الكلم، ومعاقل الحكم، فتهفو لبلاغة لفظه مسامع القلوب، فتنزل عليها بردًا وسلامًا، تملؤها أمنًا وأمانًا، وتمنحها راحة واطمئنانًا.

ولقد كان ﷺ يخاطب كل إنسان باللغة التي يفهم محتواها، والطريقة التي يعلم فحواها، والصيغة التي يدرك مغزاها، فينشرح لذلك صدره، وتُسرّ به نفسه، ويطمئن إليه قلبه.

وكم نرى في عباراته ﷺ. من تشويق إلى بلوغ المعالي، وتحفيز إلى صعود درج العلا، وحث على السير في طريق الأمجاد.

وبين أيدينا ثلاثة مواقف، نستنشق منها أريج بلاغة رسول اللَّه ﷺ، وعبير فصاحته، وعطر حكمته، ونرى كيف كان لذلك أثره البالغ في نفوس أصحابه الكرام، رضي اللَّه عنهم وأرضاهم.

١- عن أنس رضي الله عنه قال: انطلق رسول اللَّه ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يقدمنّ أحدكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه**»، فدنا المشركون، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**» قال: يقول عمير بن الحُمام الأنصاري: يا رسول اللَّه، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «**نعم**»، قال: بخ بخ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخ بخ؟**»، قال: لا واللَّه يا رسول اللَّه إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**»، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن،

ثم قال: لئن حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل»[١]

٢- عن معاذ بن جبل أن رسول اللَّه ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ، واللَّه إني لأحبك، واللَّه إني لأحبك**»، فقال: «**أوصيك يا معاذ، لاتدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك**»[٢]

٣- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «أن فتى شابًّا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، أتأذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: «**ادنه**»، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا واللَّه جعلني اللَّه فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**»، قال: «**أفتحبه لابنتك؟**» قال: لا واللَّه يا رسول اللَّه جعلني اللَّه فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**». قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا واللَّه جعلني اللَّه فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**»، قال: «**أفتحبه لعمتك؟**»، قال: لا واللَّه، جعلني اللَّه فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**»، قال: «**أفتحبه لخالتك؟**» قال: لا واللَّه، جعلني اللَّه فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**»، قال: فوضع يده عليه، وقال: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه**»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[٣].

* * *

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أبو داوود.
(٣) رواه أحمد.

الأصمعي

إذا لم تفلح في مجال من المجالات، أو صعب عليك فهم علم من العلوم، فلا تحزن ولا تيأس، ولا تضعف ولا تتقاعس، واعلم أيها الطالب، أن هذا ليس مجالك المناسب، فثب وثبة الغضنفر، وابحث عن نفسك في مجال آخر، فهناك تشرق شمس إبداعك، ويزهر روض براعتك.

وفي قصة الأصمعي، عبرة للفتى الألمعي:

يحكى[١] أن الأصمعي أراد أن يقرأ على الخليل علم العروض، وشرع في تعلمه، فتعذر ذلك عليه، فيئس الخليل منه، فسأله عن معصوب الوافر، فقال له: يا أبا سعيد كيف تقطع قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئًا فدعهُ وجاوزهُ إلى ما تستطيعُ

فعلم الأصمعي أن الخليل قد تأذى ببعده عن علم العروض، فلم يعاوده فيه.

والعصب: إسكان الخامس المتحرك، فتسكن اللام من «مُفَاعَلَتُن» فتبقى «مُفَاعَلْتُن»؛ أي: بسكون اللام منه، فتنتقل إلى «مَفَاعِيلُن»، وتقطيعه هكذا:

إذا لم تسـ / تطع شيئن/ فدعهو وجاوز هو / إلى ما تسـ / تطيعو

مفاعيلن - مفاعيلن - فعولن مفاعيلن - مفاعيلن - فعولن

فاتجه الأصمعي نحو تعلم الأدب، فبرع فيه، وأصبح علمًا من أعلامه.

* * *

(١) نزهة الألباء، في طبقات الأدباء، لأبي البركات الأنباري.

الأعرابي

يا لها من عبارة مدوية، جاءت من أقصى الصحراء العربية، لتجعل صاحبها من خاصة الأمير وندمائه، وأعوانه وجلسائه!

وهاكم تفاصيل الرواية العجيبة، والحكاية الغريبة:

«دخل أعرابي رث الهيئة، بالي العباءة على أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه فاقتحمته عينه، فعرف الأعرابي ذلك في وجه معاوية رضي الله عنه فقال: «يا أمير المؤمنين، إن العباءة لا تكلمك، ولكن يكلمك من فيها»، فأدناه فإذا به مِدْرَهٌ فصاحة في القول وبلاغة فجعله من خاصته[1].

* * *

(١) علو الهمة، لمحمد أحمد إسماعيل المقدم.

أم الدرداء الصغرى

الكلمة التي تخرج من القلب، يبقى تأثيرها في النفس، ويتجدد صداها مع كل نفَس، وكم للعبارة الطيبة من منافع، حينما تلقى على أذن السامع.

«فهذه أم الدرداء الصغرى العالمة الفقهية أتاها عون بن عبداللَّه بن عتبة في نفر من أصحابه، وأخذوا يذاكرونها العلم، ثم قال لها عون: أمللناكِ يا أم الدرداء، فقالت لهم: «ما أمللتموني، لقد طلبت العبادة في كل شيء، فما وجدت شيئًا أشفى لنفسي من مذاكرة العلم»[١].

* * *

(١) ارتياض العلوم، لمشاري بن سعد بن عبداللَّه الشثري.

ابنة حسان بن ثابت

قد يكون في جعبة ابنك أو ابنتك من جميل العبارة، وروعة الإشارة ما لم يكن بحسبانك، فإذا سنحت له الفرصة، أسمعك ما يثير في نفسك الغرابة والعجب، ولا سيما إن كان في جانب الشعر والأدب:

«فقد كان لحسان بن ثابت رضي الله عنه بنت شاعرة، وأرق حسان ذات ليلة فعنّ له الشعر، فقال:

متاريك أذناب الأمور إذا اعترت ... أخذنا الفروع واجتثثنا أصولها

ثم أجبل[1]، فلم يجد شيئًا، فقالت له بنته: كأنك قد أجبلت يا أبه؟ قال: أجل، قالت: فهل لك أن أجيز عنك؟ قال: وهل عندك ذلك؟ قالت: نعم، قال: فافعلي، فقالت:

مقاويل بالمعروف خرس عن الخنا ... كرام يعاطون العشيرة سولها

فحمي الشيخ فقال:

وقافية مثل السنان رزئتها ... تناولت من جو السماء نزولها

فقالت:

يراها الذي لا ينطق الشعر عنده ... ويعجز عن أمثالها أن يقولها

فقال حسان: لا أقول بيت شعر وأنت حية، قالت: أو أومّنك؟

قال: وتفعلين؟ قالت: نعم، لا أقول بيت شعر ما دمت حيًّا»[2].

* * *

(١) صعب عليه القول.

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة.

ابن جني

يستطيع الطالب النجيب، والتلميذ اللبيب، أن يجعل من نقد الآخرين سلمًا يرتقي به إلى ذروة العلياء، وليس كمن يهده النقد ويهدمه، فهذا ابن جني استثمر نقد الآخرين له في الانكباب على الطلب، فهاكم قصته التي فيها أعجب العجب:

«سافر أبو علي الفارسي إلى الموصل، فدخل إلى الجامع، فوجد أبا الفتح عثمان بن جني يقرأ النحو وهو شاب، وكان بين يديه متعلم وهو يكلمه في قلب الواو ألفًا، نحو: «قام»، و«قال» فاعترض عليه أبو علي، فوجده مقصرًا، فقال له أبو علي «زبّبت قبل أن تحصرَم» ثم قام أبو علي ولم يعرفه ابن جني، فسأل عنه، فقيل، له: هذا أبو علي الفارسي النحوي، فأخذ في طلبه، فوجده ينزل إلى السميرية، يقصد بغداد، فنزل معه في الحال، ولزمه وصاحبه من حينئذٍ إلى أن مات أبو علي وخلفه ابن جني، ودرس النحو ببغداد بعده، وأخذ عنه، وكان تبحر ابن جني في علم التصرف، لأن السبب في صحبته أبا علي وتغربه عن وطنه، ومفارقة أهله مسألة تصريفية، فحمله ذلك على التبحر والتدقيق فيه»[1].

❊ ❊ ❊

(١) نزهة الألباء، مرجع سابق.

أبو الأسود الدؤلي

لم تكن ابنة أبي الأسود الدؤلي تدرك أن عبارتها التعجبية القصيرة ستكون سببًا في وضع علم النحو، وطريقًا إلى لمّ شتاته، وجمع متفرقه، وضبط أصوله، وترتيب أبوابه وفصوله:

«فقد روي أن أبا الأسود الدؤلي قالت له ابنته: ما أحسن السماء! فقال لها: نجومها، فقالت: إني لم أرد هذا، وإنما تعجبت من حسنها، فقالت لها: إذن فقولي ما أحسن السماءَ!

فحينئذٍ وضع النحو، وأول ما رسم منه باب التعجب»[١].

* * *

(١) نزهة الألباء، مرجع سابق.

أبو حنيفة

قد يقيّضك اللَّه تعالى بواحد من الناس، يدلك إلى ما ينفعك، ويرشدك إلى ما يفيدك، ويريك طريق النجاح، وسبيل الفلاح.

وهذا ما حصل لأبي حنيفة، في قصته الطريفة:

«قال أبو حنيفة -رحمه اللَّه تعالى-: «مررت يومًا على الشعبي وهو جالس، فدعاني، وقال «إلامَ تختلف؟ فقلت: أختلف إلى فلان قال: لم أعن الاختلاف إلى السوق، عنيت الاختلاف إلى العلماء، فقلت له: أنا قليل الاختلاف إليهم، قال: لا تفعل، وعليك بالنظر في العلم، ومجالسة العلماء، فإني أرى فيك يقظة وحركة «قال: فوقع في قلبي من قوله، فتركت الاختلاف أي إلى السوق، وأخذت في العلم، فنفعني اللَّه بقوله»[1].

* * *

(١) علو الهمة، مرجع سابق.

أبو علي الفارسي

قد يكون للكلمة الجارحة تأثيرًا إيجابيًّا فيك، وقد تدفعك عبارة موجعة إلى بذل الجهد، وعدم الضعف والخور أمام صاحب تلك الكلمة، فتخيب ظنه، ويبطل كيده وفي قصة أبي علي، توضيح جلي:

«يحكي أن أبا علي الفارسي لما صنف كتابه «الإيضاح» لعضد الدولة، وأتاه به، قال عضد الدولة: هذا الذي صنعت يصلح للصبيان، فصنف له «التكملة»، ولو صدر هذا الكلام من بعض أئمة النحويين لكان كبيرًا فكيف من بعض الملوك»[١].

* * *

(١) نزهة الألباء، مرجع سابق.

ابن قادم النحوي

عندما يتربع الأستاذ بين يدي الطالب مستمعًا منصتًا، فإن ذلك من أعظم محفزات الطالب لبلوغ المعالي، ومن أشد منشطاته لتسنّم مراتب العلا.

وبين هذه السطور، حكاية تشرح الصدور:

«حكي عن أحمد بن إسحاق بن بهلول أنه دخل هو وأخوه بغداد فدار على الحلق يوم الجمعة، فوقف على رجل يتلهب ذكاء، ويجيب عن كل ما يسأل عنه من مسائل الأدب والقرآن، فقلنا: من هذا؟ فقالوا: ثعلب، فبينا نحن كذلك، إذ ورد شيخ يتوكأ على عصا، فقال لأهل الحلقة: أفرجوا للشيخ، فأفرجوا له حتى جلس إلى جانبه، ثم إن سائلًا سأل ثعلبًا عن مسأله فقال: قال الرؤاسي فيها كذا، وقال الكسائي فيها كذا، وقال الفراء كذا، وقال هشام كذا، وقلت أنا كذا، فقال الشيخ: لا تراني أعتقد فيها إلا جوابك، فالحمد للَّه الذي بلغني فيك هذه المنزلة، فقلنا: «من هذا؟ فقيل: أستاذه ابن قادم»[1].

❊ ❊ ❊

(١) بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي.

أحمد بن حنبل

ما أجمل أن تُهدى إليك عبارة من شخص ما، تشد على يديك، وتقوي عزيمتك، وقد كدت أن تضعف أمام جيوش الهم، وكتائب الحزن، وجند الفتن.

وما أعظم هذا المشهد، الذي رواه الإمام أحمد:

«قال الإمام أحمد -رحمه اللَّه تعالى-: «ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في رحبة طوق، قال: يا أحمد إن يقتلك الحق مُتَّ شهيدًا، وإن عشت عشت حميدًا، فقوي قلبي»[1].

❊ ❊ ❊

(١) علو الهمة، مرجع سابق.

إياس بن معاوية

يكون للكلمة أثرها البالغ، ويكون للعبارة وقعها الشديد، حينما تأتي ممن هو دونك إما في العلم، وإما في العمر، فكيف بك إذا كانت من صبي، وكان المتلقي هو الخليفة نفسه؟

قصة مشوقة، تحكيها السطور الآتية:

«حكى المسعودي في شرح المقامات أن المهدي لما دخل البصرة رأى إياس بن معاوية وهو صبي، وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة، وإياس يقدمهم، فقال المهدي: «أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث؟

ثم إن المهدي التفت إليه وقال: كم سنك يا فتى؟ فقال سني -أطال اللَّه بقاءك- سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاّه رسول اللَّه ﷺ جيشًا فيهم أبو بكر وعمر، فقال له: «تقدم بارك اللَّه فيك»[1].

* * *

(١) علو الهمة، مرجع سابق.

الإمام البخاري

قد تلامس مسمعك عبارة من أستاذك، فتحدث تلك العبارة بداخلك ثورة لا تهدأ حتى تدفع بك إلى تحقيق أمر من الأمور العظام، وتنفيذ مهمة من المهام الجسام.

وهذا ما حصل للإمام البخاري -عليه رحمة اللَّه تعالى - قبل إقدامه على تأليف كتابه الجامع النافع الماتع الذائع:

«روي أن أمير المؤمنين في الحديث والفقه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه قال لتلاميذه، لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح سنة رسول اللَّه ﷺ»، فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع «الجامع الصحيح»[1].

❊ ❊ ❊

(١) الحديث والمحدثون، لمحمد محمد أبي زهو.

الحافظ ابن حجر

يا لجمال تلك النصيحة التي ترد إليك من صديق محب، وخليل مشفق، فتترك في نفسك أثرها الواضح، وعطرها الفائح، وتضيئ دربك، وتنير سبيلك:

«قال المحب بن الوجدية للحافظ بن حجر، إذ رآه حريصًا على سماع الحديث وكتبه: اصرف بعض هذه الهمة إلى الفقه، فإنني أرى بطريق الفراسة أن علماء هذا البلد سينقرضون، ويحتاج إليك، فلا تقصر بنفسك، فكان كذلك، ما مات حتى شدت إليه الرحال، قال شيخنا: فنفعتني كلمته، ولا أزال أترحم عليه بهذا السبب»[1].

* * *

(١) الجواهر والدرر، في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، لشمس الدين السخاوي.

الحسن بن موسى

لامست شغاف قلبه عبارة من في والده ملؤها النصح والإرشاد: فأضحى صديقًا حميمًا للكتب، بعد أن كان دائم العتاب لوالده حينما يراه منهمكًا على قراءة الكتب، ومطالعة الأسفار، وهاكم قصة الحسن كما رواها بفيه:

«قال: لقد دخلت عليه - يعني أباه - في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكتب، فقلت له: ياسيدي، أفي هذا اليوم لا تستريح؟

فنظر إلي كالمغضب وقال: أظنك لا تفلح أبدًا، أترى الراحة في غير هذا؟ واللَّه لا أحسب راحة تبلغ مبلغها، ولوددت أن اللَّه تعالى يضاعف عمري حتى أتم كتاب «المغرب» على غرضي.

قال: فأثار ذلك في خاطري أن صرت مثله لا ألتذ بنعيم غير ما ألتذ به من هذا الشأن، ولولا ذلك ما بلغ هذا التأليف إلى ما تراه»[1].

* * *

(١) عشاق الكتب، لعبد الرحمن يوسف الفرحان.

الذهبي

الكلمة الطيبة تصنع أملًا، والعبارة المحفزة تنير سبلًا، وهذا هو حال الإمام الذهبي في مقتبل عمره، وبداية أمره، حينما سمع كلمة من العلامة البرزالي، أضاءت له درب المعالي، وهاكم مضمون القصة، التي تزيل الغصّة:

«قال الحافظ الذهبي: رأى العلامة البرزالي خطي فقال لي: خطك يشبه خط المحدِّثين، فأثر قوله فيَّ، وسمعت منه، وتخرجت به في أشياء»[1].

❊ ❊ ❊

(١) علو الهمة، مرجع سابق.

الربيع بن سليمان

قد تجد فتورًا يعتريك في رحلة الطلب، فيثنيك عن مواصلة السير، ثم يزداد الخمول حتى يحول بينك وبين التعلم، فإن وجدت من يأخذ بيدك ناصحًا ومرشدًا ومشجعًا، فإنك تنهض من جديد، وتنطلق في طريق العلم، وسبيل المعرفة، إلى أن تنيخ مطيتك في رحاب العلا، وتنصب خيمتك في فناء المجد.

وهذا هو حال الربيع بن سليمان، الذي شدت إليه الرحال من كل مكان.

«قال القفال في «فتاويه»: كان الربيع بطيء الفهم، فكرر الشافعي عليه مسألة واحدة أربعين مرة فلم يفهم، وقام من الجلس حياء، فدعاه الشافعي في خلوة، وكرر عليه حتى فهم.

وقال له: «لو أمكنني أن أطعمك العلم أطعمتك»

فأصبح الربيع راوية كتب الشافعي تشد إليه الرحال من الآفاق»[1].

❊ ❊ ❊

(١) طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السكبي.

سفيان بن عُيينة

وحينما تهطل عليك عبارات التشجيع والتحفيز من فم أب حنون، ووالد شفيق، فإن لذلك في القلوب أشد التأثير، وإنه لضياء الدروب وزاد المسير.

وهاهو ذا سفيان بن عيينة يوافيك بما يؤكد ذلك، ويبرهن صحته:

«قال سفيان بن عيينة: «قال لي أبي وقد بلغت خمس عشرة سنة: «إنه قد انقضت عنك شرائع الصبا، فاتبع الخير تكن من أهله»، فجعلت وصية أبي قبلة أميل إليها ولا أميل عنها»[1].

* * *

(١) علو الهمة، مرجع سابق.

سفيان الثوري

لا تجد أجمل من نصيحة الأم أبدًا فكلماتها ممزوجة بالرحمة، وعباراتها مكللة بالشفقة، وألفاظها متوجة بالرأفة، وهي مصباح الحياة، ومنهاج النجاة.

وفي قصة سفيان، ونصيحة أمه ما يبهج الوجدان:

«فهذا سفيان الثوري الإمام الجليل، والعلم الشامخ، كان ثمرة أم صالحة، غذته بلبانها، وحاطته بكنفها، حتى صار إمام المسلمين، وأمير المؤمنين في الحديث، قالت له أمه وهو صغير: «يا بني اطلب العلم، وأنا أكفيك بمغزلي»[1].

* * *

(١) علو الهمة، مرجع سابق.

سيبويه

قال له أستاذه: «لحنت»، فلم تكن هذه الكلمة تمر مرور الكرام لدى سيبويه، وأبى أن يكون غرضًا لسهام النقد، ومرمى لألفاظ التخطئة والتجريح، فجعل تلك الكلمة منطلقًا له نحو المجد الخالد، والصيت المتجدد.

يا له من طموح، من بين هذه السطور يفوح:

«روى نصر بن علي أن سيبويه كان يستملي على حماد، فقال حماد يومًا: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ليس أحد من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عنه ليس أبا الدرداء**»، فقال سيبويه: «ليس أبو الدرداء»، فقال حماد: لحنت يا سيبويه «ليس أبا الدرداء»، فقال سيبويه: لا جرم؛ لأطلبن علمًا لا يلحنني فيه أحد، فطلب النحو، ولزم الخليل»[(١)].

«لحنه؛ لأن «ليس» من أدوات الاستثناء التي ينصب بها المستثنى، علمًا أنه خبرها، واسمها مستتر وجوبًا»[(٢)].

قلت: وهذه غير «ليس» النافية الناقصة التي ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، وهي إحدى أخوات «كان».

* * *

(١) نزهة الألباء، مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه.

الشافعي

قد يكون لأحدهم فيك فراسة، فيوجهك الوجهة التي يرى أنها هي الأنسب لك، والأليق بك؛ فيسطع فيها اسمك، ويلمع فيها نجمك، ويخضع عندها خصمك.

وهذا ما حصل للإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في أول عمره، وغرة سيره:

«حكى مصعب بن عبداللَّه الزبيري قال: «كان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في ابتداء أمره يطلب الشعر وأيام العرب، والأدب، ثم أخذ في الفقه بعد، قال: وكان سبب أخذه في العلم أنه يسير على دابة له وخلفه كاتب لأبي، فتمثل الشافعي ببيت شعر فقرعه كاتب أبي بسوطه، ثم قال له: مثلك يذهب بمروءته في مثل هذا، أين أنت من الفقه؟ فهزه ذلك، فقصد مجالسة الزنجي مسلم بن خالد، وكان مفتي مكة، ثم قدم علينا فلزم مالك بن أنس»[1].

* * *

(١) علو الهمة، مرجع سابق.

الشنقيطي

كم من شيخ شحذ همة طالبه بجميل العبارات، وقوى عزم تلميذه بصادق الكلمات، فكان لذلك في النفس أشد الوقع، وفي القلب أعظم النفع.

وفي قصة العلامة الشنقيطي ما يوضح هذا الأمر ويجليه، ويفيد الطالب ويسليه:

«حكى ابن العلامة محمد الأمين الشنقيطي -رحمة اللَّه تعالى- أن أمارات النبوغ وعلو الهمة لما لاحت على والده في طفولته، قال له شيخه: «يا بني إن العلماء يقولون إن من وجد من نفسه استعدادًا وموهبة تؤهله للإمامة تعين عليه طلبها، وإن طلب الإمامة في الدين متعين عليك، فلا تضيع نفسك»[1].

❊ ❊ ❊

(١) علو الهمة، مرجع سابق.

عبداللَّه بن المبارك

ما بين حدة ذكاء الابن ورجاحة عقل الأب أمور تعين على بلوغ المأرب، وأسباب توصل إلى أعلى المناصب، وتبادل العبارات المؤثرة أقوى عوامل النجاح، بإذن اللَّه العليم الفتاح.

«ذكر الصدفي قال: «لما بلغ عبداللَّه بن المبارك دفع إليه أبوه خمسين ألف درهم يتجر بها، فطلب العلم حتى أفقدها، فلما انصرف لقيه أبوه فقال: ما جئت به؟ فأخرج إليه الدفاتر، فقال: هذه تجارتي، فدخل أبوه المنزل فأخرج له أبوه ثلاثين ألف درهم أخرى وقال: هذه تتم بها تجارتك، فأنفقها»[1].

* * *

(١) عشاق الكتب، مرجع سابق.

عبد الملك الماجشون

ما أجمل أن يعترف الكبار بفضل الصغار، ولا يحملهم فارق السن على هضم حقوقهم، ودفن مواهبهم، ووأد طموحاتهم، ومن شأن أهل الفضل، ودأب ذوي الشهامة، أنهم يشجعون ويحفزون، ويهتمون بالأحداث غاية الاهتمام، كونهم أمل الأمة المشرق، وغدها الأجمل.

وإليكم هذه القصة المثيرة، والعبارات المنيرة:

«لما أتى عبدالملك الماجشون -وهو في حداثة سنه- إلى المنذر بن عبد اللَّه الخزامي، وتحدث أمامه، اهتز له على غيرة لما رأى فيه بعض الفصاحة، وقال له: «اطلب العلم، فإن معك حذاءك وسقاءك»[1].

❊ ❊ ❊

(١) ارتياض العلوم، مرجع سابق.

الكسائي

النفس الأبية تأنف من القول الجارح، ولا ترضى أن تكون هدفًا لكل ناقد وقادح، ولا فارق في ذلك بين طفل وكهل، ولا بين صغير وكبير.

وللكسائي في ذلك عبرة وعظة، وقصة موقظة:

«قال أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء: إنما تعلم الكسائي النحو على الكِبَر، وكان سبب تعلمه أنه جاء يومًا وقد مشى حتى أعيا، فجلس إلى قوم فيهم فضل، وكان يجالسهم كثيرًا، فقال «قد عَيّيتُ»، فقالوا له: تجالسنا وأنت تلحن! فقال: كيف لحنت؟ فقالوا: إن كنت أردت من التعب، فقل: «أَعْيَيْتُ»، وإن كنت أردت انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل: «عَيِيْتُ» مخففة، فأنف من هذه الكلمة، وقام من فوره، فسأل عمن يعلم النحو، فأرشدوه إلى معاذ الهراء، فلزمه حتى أنفد ما عنده»[1].

* * *

(١) نزهة الألباء، مرجع سابق.

محمد بن قاسم النجدي

الكلمة المحفزة أجمل هدية، والعبارة المشجعة أجزل عطية، ومن أهداك هذه الكلمة، وأسداك تلك العبارة، يبتغي من وراء ذلك انتفاعك وارتفاعك فهو الأحق بالاحترام، والاجدر بالاهتمام، ومن بين سطور القصة الآتية، يفوح عبق الصيحة الغالية:

قال الشيخ محمد بن قاسم النجدي: يتحدث عن بداية طلب العلم كنت أعمل في مزرعتنا فنصحني عدة مرات إبراهيم بن محمد وكان رجلًا عاقلًا، قال وهو يراني أعمل في المزرعة: هذه ليست مهنتك، اذهب لطلب العلم، فكانت هذه الوصية التي لا أنساها سببًا في إقبالي على العلم»[1].

❊ ❊ ❊

(١) نقلًا عن صفحة الأخ / أحمد بن غانم الأسدي.

محمود الطناحي

عبارة، مؤثرة، وكلمة معبرة، هزت وجدانه هزًّا، وجعلته يعود إلى أدراج الكتب، ليبحث عن ما كان يرغب عن قراءته، ولا يلقي بالًا لمدارسته.

قصة عجيبة، وحكاية، غريبة، إليكم تفاصيلها:

«يقول محمود الطناحي وكان في نفر من المستشرقين يحققون كتابًا - عند قراءتي معه للنص جاء هذا البيت:

مَـلِـكٌ مُـنـشـد الـقـريـض لـديـهِ يـضـع الـثـوب فـي يـدي بـزَّازِ

فسألني ذلك المستشرق: من أي بحر هذا البيت؟ فأطرقت إطراقة بلهاء تبعتها ضحكة أشد منها بلاهة، فقال لي المستشرق منكرًا متعجبًا: طالب بدار العلوم متخرج في الأزهر لا يعرف العروض؟ فكأنما ألقمني الرجل أحجار «إمباية» كلها، وعدت إلى بيتي حسيرًا، أجر رجلي جرًّا من الزمالك، حيث يقع المعهد الألماني للآثار، إلى داري بالدرب الأحمر خلف دار الكتب المصرية آنذاك، وما إن وصلت إلى بيتي مهدودًا مثقلًا بعناء الخيبة والمشي الطويل حتى هرعت إلى صندوق الكتب الدراسية القديمة، واستخرجت منها كتاب «المذكرات الوافية، في علمي العروض والقافية» لمؤلفه الشيخ عبد الفتاح شراقي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو ما كان مقررًا علينا في الأزهر، وانكببت عليه لا أكاد أدير بوجهي عنه صباح مساء، وما هي الإ أسابيع قليلة حتى لانت لي البحور، واستقرت أنغامها في أذني، وامتلأ بها سمعي»[1].

* * *

(١) ارتياض العلوم، مرجع سابق.

مكي بن إبراهيم

عبارة شيخ فاضل مشفق عليه نقلته من التجارة الدنيوية إلى التجارة الأخروية، التى لايعتريها بوار، ولا تدخلها خسارة.

وها هو ذا صاحب الرواية، يقص علينا الحكاية:

«عن مكي بن إبراهيم -أحد شيوخ البخاري- قال: كنت أتجر، فقدمت على أبي حنيفة قدمة، فقال لي: يا مكي، أراك تتجر، التجارة إذا كانت بغير علم دخل فيها فساد كثير، فلِمَ لا تتعلم العلم، ولِمَ لا تكتب؟ فلم يزل بي حتى أخذت في العلم، وكتابته وتعلمه، فرزقني اللَّه منه شيئًا كثيرًا، فلا أزال أدعو لأبي حنيفة في دبر كل صلاة، وعندما ذكرته، لأن اللَّه ببركته فتح لي باب العلم»[1].

❊ ❊ ❊

(١) علو الهمة، مرجع سابق.

مقبل الوادعي

لم تلهه الحراسة عن الدراسة، ولا منعه الاغتراب من الالتحاق بالطلاب، بل طفق يطلب العلم بهمة عالية، وينهل من مناهله الصافية، ففاق لداته وأقرانه، وأضحى إمامًا من أئمة الحديث في زمانه، وكان شيخه يطرب سمعه بعبارات مؤثرة، وكلمات محفزة

ذلكم هو الشيخ مقبل الوادعي -رحمه اللَّه تعالى- وهاكم قصته التى رواها شيخه بلسانه:

«قال الشيخ العلامة حماد الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ: إن مقبل الوادعي تلميذي، وأنا الذي اخترت له الموضوع «في الماجستير»، وكان يقرأ علي في البيت أيام الحرة الشرقية، وكنت أقول له: أرجو أن تكون في اليمن في هذا الزمان كالشوكاني في زمانه.

وقد كان مقبل تلميذًا ما رأيت مثله في النشاط وطلب العلم»[1].

❊ ❊ ❊

(١) المجموع في ترجمة العلامة المحدث / حماد بين محمد الأنصاري، عبدالأول بن حماد الأنصاري.

يحيى بن يحيى

عبارة تخرج من في طويلب علم، فتقع في قلب إمام دار الهجرة موقعها، وتترك في نفسه أثرها الواضح، وعطرها الفائح؛ فيطلق عليه أجمل الألقاب.

وهاكم نص الحكاية:

«رحل يحيى بن يحيى إلى الإمام مالك وهو صغير، وسمع منه وتفقه، وكان مالك يعجبه سمته وعقله، روي أنه كان يومًا عند مالك في جملة أصحابه، إذ قال قائلًا: (قد حضر الفيل)، فخرج أصحابُ مالك لينظروا إليه غيره -أي: وبقي يحيى مكانه- فقال له مالك: «لم تخرج فترى الفيل، لأنه لا يكون بالأندلس»، فقال يحيى: «إنما جئت من بلدي لأنظر إليك، وأتعلم من هديك وعلمك، ولم أجئ لأنظر إلى الفيل، فأعجب به مالك، وسماه: «عاقل أهل الأندلس»[1].

* * *

(١) علو الهمة، مرجع سابق.

الخاتمـة

حمدًا للَّه رب الأرضين والسماوات، الذي أعانني على استلقاط هذه الدُّرر من أعماق المؤلفات، واستنباطها من أوراق المصنفات، فأضحت قلادةً مضيئةً في عنق هذا الكتاب، مرتبة ترتيبًا هجائيًا يسرُّ الألباب.

ولا أخفيك سرًّا أيها القارئ الكريم -وفَّقك اللَّه تعالى- أنني قد أُلقي على سمعي كلمات مؤثرات، وعبارات مثمرات في مواطن كثيرة من بعض الأفراد -جزاهم اللَّه خير الجزاء- فكان لذلك تأثيرٌ إيجابي غيّر مجرى حياتي إلى الأفضل، بفضل اللَّه ﷻ.

والحمد للَّه أولًا وآخرًا، وباطنًا وظاهرًا، وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا وافرًا.

وكتبه / زياد بن محمد المنيفي

قائمة المراجع

١- **ارتياض العلوم**، لمشاري بن سعد بن عبداللَّه الشثري، مركز البيان للبحوث والدراسات.

٢- **بغية الوعاة**، في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم.

٣- **الجواهر والدرر**، في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، لشمس الدين السخاوي، تحقيق / إبراهيم باجس عبدالمجيد.

٤- **الحديث والمحدثون**، لمحمد محمد أبو زهو، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

٥- **الشعر والشعراء**، لابن قتيبة

٦- **صفحة أحمد بن غانم الأسدي الفيسبوكية**.

٧- **طبقات الشافعية الكبرى**، لتاج الدين السبكي، تحقيق / عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية

٨- **عشاق الكتب**، لعبد الرحمن يوسف الفرحان، دار البشائر الإسلامية.

٩- **علو الهمة**، لمحمد أحمد إسماعيل المقدم، دار الإيمان، الإسكندرية.

١٠- **القاموس المحيط**، للفيروز آبادي.

١١- **المجموع في ترجمة العلامة المحدث / حماد بين محمد الأنصاري**، عبدالأول بن حماد الأنصاري

١٢- **نزهة الألباء**، في طبقات الأدباء، لأبي البركات الأنباري، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي.

* * *

فهرس الموضوعات

- إهداء ٥
- المقدمة ٧
- نفحَةٌ شعريةٌ ٩
- نَبيُّ الرحَّمةِ ﷺ ١٠
- الأصمعي ١٢
- الأعرابي ١٣
- أم الدرداء الصغرى ١٤
- ابنة حسان بن ثابت ١٥
- ابن جني ١٦
- أبو الأسود الدؤلي ١٧
- أبو حنيفة ١٨
- أبو علي الفارسي ١٩
- ابن قادم النحوي ٢٠
- أحمد بن حنبل ٢١
- إياس بن معاوية ٢٢
- الإمام البخاري ٢٣
- الحافظ ابن حجر ٢٤
- الحسن بن موسى ٢٥
- الذهبي ٢٦
- الربيع بن سليمان ٢٧
- سفيان بن عُيينة ٢٨
- سفيان الثوري ٢٩
- سيبويه ٣٠

- الشافعي ٣١
- الشنقيطي ٣٢
- عبداللَّه بن المبارك ٣٣
- عبد الملك الماجشون ٣٤
- الكسائي ٣٥
- محمد بن قاسم النجدي ٣٦
- محمود الطناحي ٣٧
- مكي بن إبراهيم ٣٨
- مقبل الوادعي ٣٩
- يحيى بن يحيى ٤٠
- الخاتمة ٤١
- قائمة المراجع ٤٢
- فهرس الموضوعات ٤٣

❊ ❊ ❊